

إنه عيد الأم

ماذا لو ان الذين عملوا جاهدين على إقامة عيد للام رأوا كيف آلت اليه الحال بالنسبة لهذا اليوم؟ ماذا لو رأوا كيف أفرغ هذا العيد من محتواه الفعلي واقتصر على جانبه التجاري وعبارات المجاملة المبالغ فيها والزائفة في كثير من الاحيان؟

كلنا في عيد الام نهرع الى المحلات التجارية التي عملت لاسابيع واسابيع للتهليل للمناسبة والاستفادة منها اقصى ما يمكنها ذلك. كلنا نهرع الى هدية نتوخى بها تعويضا عن قصور في عاطفتنا, ربما, أو مجازاة لركب فرض مشيئته علينا.

الامومة هذه الغريزة البكر التي وضعتها الطبيعة في صدر الانثى من انسان وحيوان وطير هي في صميمها عاطفة تلقائية لا تتوقع إزاءها صاحبته اي تعويض او مكافاة او عرفان بجميل. هي كشدى الزهر وثمر الشجر وعسل النحل لا تنتظر مقابلا, إلا ان المنتفعين من المناسبة حولوها الى سوق تجاري تتنافس فيه محلات الالبسة والعطورات والزهور والاندية والمطاعم على "تئاتش" المحتفلين بامهاتهم, وهو ايضا يوم وجد به الاعلاميون مادة يملؤون بها خواء برامجهم بكيل من المدائح الطنانة المسطحة العاطفة.

لماذا لا يكون عيد الام يوم تقييم لعلاقتنا العائلية فنعيد, نحن الامهات, محاسبة انفسنا على ما فعلناه بهذه الهبة المميزة التي منحتنا اياها الطبيعة؟ لماذا لا نقف ونسائل انفسنا اين اصبنا واين اخطأنا في مسيرتنا الامومية؟ الا نقترف في كثير من الاحيان من حيث لا ندري الكثير من الاخطاء بحق ابنائنا؟ كم من ام عكرت صفو حياة ابنها برفضها لشريكته لا لذنوب بل لانها ليست على صورتها ومثالها! وكم من ام افسدت بامومتها الزائدة شخصية ابنها فصنعت منه الاتكالي والاناني الذي لا يرى من الدنيا إلا ذاته ومصالحه او انشأت من خلال معاملتها التي تفاضل بين الابن والابنة جيلا من المتحجرين المؤمنين في انهم من جنس ارقى وارفع مكانة من الانثى! كم من ام استغلت تلك العلاقة النبيلة لتأليب ابنائها على والدهم في نزاع شخصي يقوم بينهما! ألا تستحق الواحدة منا في عيدها هزة تستفيق بها من جهلها بدل ان تغدق عليها عبارات المجاملة الخادعة فقط لدواعي المناسبة في حين ان القلوب تمتلئ بعكس ما تقول الالسن؟ هل من احد يقول للام المملوكة كوني اما وكفى. اكتفي من الامومة بغريزتها البكر لا تلك التي تلاحق وتقميد وتمنن؟ او يقول للام المهيمنة لا ترهقهم بعطاءك المبالغ فيها ولا تكبليهم بجميل يلاحقهم كالكابوس؟ هل من قائل لها كوني اما ينتهي دورها على اعتاب النضوج, إقبليهم كما هم باخطائهم ومواهبهم, لا تتملقي الناجح والموهوب منهم وتجاهلي الفاشل الذي حرمته الحياة موهبة وحظا. تقبلي بشجاعة ملاحظاتهم, ولا تلعني حظك لانهم ليسوا كما تتمنين فكثيرا مما بهم هو مسؤوليتك انت اما تربية وإما إرثا جينيا

اتمنى في عيد الام هذا وقفة حساب ومراجعة ضمير شجاعة لكل ما نشأنا عليه من عادات سيئة, اقلها, الانجرار الاعمى وراء هذا الاستهلاك العبثي الذي انحرفنا به عن معاني عيد الام الحقيقية

نجمه

٢٠٠٢/٥/١١